

المسلمون والمسيحيون في لبنان

بقلم المطران جورج خضر
مطران الروم الارثوذكس في جبل لبنان



ان لم تقم العلاقة بينهم على التقوى فهي ليست بشيء. وأهل التقوى واحد في كل الامم لان الله يستقطبهم ويوحدهم فيه على اختلاف ما يقولون فيه وفي أشيائه والسياسة تأتي بعد ذلك على قول المعلم الناصري: "اطلبوا او لا ملكوت الله وبره والباقي يزداد لكم". ذلك ان الذين يطلبون الآخرة يتوافر لهم ما يفيدهم في معاشهم هنا.

كثبت مرة ما مفاده اني لما كنت أرى في طفولتي من نوافذ احد المساجد في طرابلس المسلمين يصلون كنت اتخشع اذ كنت افهم ان قوما آخرين يعبدون الله. كذلك احسب انهم يتخشعون اذا تلوا شيئا من الانجيل او حضروا قداسا بيزنطيا. فالقبة هي كقباب المساجد والالحن شرقية والربوبية واحدة في ذاتها وفي نفوسنا كلينا. وانا احب منذ طفولتي ايقاع الأذان منذ الفجر حتى صلاة العشاء وهو يغنيني عن ايقاع الساعة. هناك انسجام لا داعي الى تعريفه عقليا ونعيشه في هذا البلد الذي ارتضيناه موقعا لنا في الارض.

وأظن أننا مجموعة واحدة فيما نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر، يراها الله واحدة في مقاييس لم يكشفها لنا واذا صح الحديث الشريف: "خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام". فمن باب اولي القول: "ان خياركم في الاسلام مثل خياركم في المسيحية"، لأن التخلق بالله هو الوجود والانتساب الشكلي او الاسمي ليس بشيء. فالصالحون في كل صقع هم خير امة اخرجت للناس واذا فهمنا ذلك تأتي سياسة الارض. هذه التي تفرق عادة بين الناس بسبب من تباين المصالح وبسبب غلبة المصالح على الاهداف الروحية التي نبتغي.

عند هذا يصبح المسيحيون أمة ارضية وربما كان كذلك المسلمون. "مملكتي ليست من هذا العالم" لا تختلف كثيرا عن ان الاسلام ليس فيه اصول حكم ولم يرد في التنزيل القرآني كلام عن الدولة وشكلها او كلام واحد عن ان الدولة يسودها المسلمون. وعند تأسيس دولة الراشدين صار الكلام على ان غير المسلم من لا يسعه ان يكون خليفة او قائد جيش او قاضيا يقضي بالشرع ولكنه استوزر في العصر الاموي وكان عند بدئه يتولى بيت المال الذي هو مال المسلمين.

•••

فالسؤال الذي يطرح نفسه هو ما علاقة الفقه وهو علم بشري بما انزله الله على نبيه. هل كل الحديث في هذه الامور سوى تاريخ بشري له قوة التاريخ وهشاشته. والسؤال الاعم هو ان القرآن اذا كان لا يخضع تفسيره للتاريخ أفلا يخضع التاريخ الاسلامي نفسه للتحليل التاريخي وتاليا لنسبية الزمان وهو من متقلبات الزمن. كل انغلاق في حدود الزمان هو اعتراف بأن ما جرى بعد الوحي له قيمة الوحي. في هذا الصدد لا تستطيع ان تتكلم على المسيحيين اذ لا قيمة للتاريخ عندهم الا ما له صلة بالكلمة الالهية وقيمه اذ غير مطلقة وليس عندهم صورة حكم وهم يتشكلون روحيا في كل امة ووجدوا فيها ولا يبتغون مناصب الا في لبنان وقد عاشوا عبيدا في نظام الرق وحرارا حيث منحهم الحاكم الحرية مع انهم صبوا الى الحرية في الامبراطورية الرومانية التي كانت تضطهدهم وفهموا قول المعلم: "وتعرفون الحق والحق يحرركم". وعلى ذلك ما من شك في انهم لم يضعوا هم "حقوق الانسان والمواطن" وقد كُتبت هذه اولا في الثورة الفرنسية التي قامت ضد الكنيسة السائدة سياسيا. غير ان الذي لا شك فيه ان الثوار الفرنسيين تأصلوا في الانجيل ولو ارادوا ان يكسبوا معانيه لباسا علمانيا. البشرية العلمانية صقلها روح المسيح في الحضارة الاوروبية وهذا كان خير لسائر الناس. ولا ينكر انسان حقوق الانسان لمجرد ان الذين صاغوها كانوا مسيحيين اذ كان فيها نفع للناس. واذا أيد القرآن الانجيل والتوراة في غير موضع ففي المنطق نفسه يؤيد المسلمون حقوق الانسان ولو كانت لغتها آتية من قريب او من بعيد من الوحي المسيحي.

وعلى هذا اقترب مفكرون مسلمون كثر من الحكم المدني في كثير من البلدان الاسلامية وقد لا يكون شكله بالضرورة العلمانية الفرنسية وهناك علمانية بريطانية تختلف. وقال به أئمة مسلمون في لبنان. هذا ما ارجو ان نعود اليه بعد هذه الحرب الشرسة التي شنت علينا.

واذا اردنا وحدة هذا الوطن لا تستطيع فئة حكم الشرائع كلها او لا تستطيع ان تخرج على روح حقوق الانسان لئلا تخرج من الحداثة التي هي المصطلح الوحيد الذي يجمعنا. ولا يفهم احد اني بالضرورة داعية لشكل قاس من حكم يتكرر لخصوصية الطوائف ولنكهتها ولكني ادعو الى رؤية الوطن اللبناني جماعة واحدة.

هذا لا يعني اني انا الارثوذكسي لا ارى نفسي واحدا في المسيح مع الشعوب الارثوذكسية وبمعنى اوسع مع كل الشعوب المسيحية ولكن هذا ليس له ترجمة سياسية اطلاقا. فقد تكون روسيا مثلا ضد مواقف بلدي وأكون، اذذاك، ضدها. على هذا المنوال كان الرئيس جمال عبد الناصر نصيرا للقبارصة اليونانيين ضد الاحتلال التركي للجزيرة وكان رئيس الاساقفة مكاريوس قريبا من العرب. هناك اذاً رؤية مدنية لسياستك الخارجية. وفي بلدنا قد يكون المسيحي المنفتح، الحر، قريبا من موقف اسلامي جامع او المسلم "المدني" قريبا من المسيحيين في موقف وطني داخلي.

في الوضع الحاضر كان المخلصون من المسيحيين ضد اميركا في تحالفها مع اسرائيل. ولا معنى سياسيا على الاطلاق لكون الاميركيين مسيحيين. انا المسيحي مع ايران في تخصيص الاورانيوم لتكون محاذية او مساوية لاسرائيل الحاصلة على السلاح النووي. السياسة مصلحة شعبك ككل. وهذا يقتضي ان تتخذ الموقف الذي يدعمك في السياسة الخارجية.

على هذا لا افهم في منطق حدائي عبارة "الامة الاسلامية" الا بمعنى شعوري لا يلزمك بموقف سياسي. انا افهم جيدا ان يحزن المسلم لكارثة في الباكستان كما احزن لكارثة في اليونان. ولكني ان كنت اعظم انسانية احزن لحزن البلدين في القوة نفسها. الى الناحية الشعورية العقل وفي هذا المضمار متابعة شؤون الابحاث الشرعية في بلدان المسلمين والمسائل الفكرية المتصلة بالدين لان تقدم الفكر واحد في العالم الاسلامي. وعلى هذه الصورة يتابع اللاهوتي الارثوذكسي مثلا ما يكتب على هذا الصعيد في موسكو واثينا وبوخارست وما اليها. وفي الواقع نقرأ مجلاتهم ونتابع هواجسهم اللاهوتية لكوننا كنيسة واحدة.

•••

العمل السياسي عمل المواطنين مجتمعين لانه متعلق بالارض التي عليها يعيشون. السياسة تأتي من شعورك بانك تحيا ليس فقط مع كل مواطنيك ولكن تحيا بهم. تعطيهم وتأخذ منهم فتقرأ مشاعرهم وتراثهم واسباب تصرفاتهم فتتأثر بهم ويتأثرون بك. الوطن تاريخيا وشعوريا وامام آفاقه واحد ولو كانت مصادر الشعور والسلوك متنوعة. والتنوع ينشئ الاختلاف في السياسة وفي الاختلاف صحة لانه يدل على ان البشر احياء ومستقلون احدهم عن الآخر.

هم ليسوا نهرا فكريا واحدا ولكنهم روافد في اوقيانس البلد. وانا لست اقول ان هذه الالوان لا علاقة لها بالعقائد التي تستلهم دينية كانت ام غير دينية ولكني اقول انك بهذه الالوان المختلفة ترسم لوحة البلد ولا ترسم لوحة بلد آخر. فالكنيسة الجامعة كما نسميها ليس لها لون ثقافي واحد. لذلك ليس لها وجود سياسي في الدنيا ولا لها ارض واحدة. كذلك امة المسلمين ليس لها وجود سياسي او كيان عالمي الا في ما يختص بالايمان وأدبياته.

نتدارس اذاً امور الدنيا في معيّننا وهذا الدرس له صورة وهي مجلس النواب وننفذ ما ندرسه في صورة وهي الحكومة كما نتدارس امورنا في الصحافة والاحزاب وحلقات الفكر السياسي والاكاديميات وانا واثق من ان العالمين والافضلين خلقيا يستخرجون معا افكارا متقاربة او واحدة لتسيير البلد حتى تزول السياسة عندما يتجلى الله في اليوم الاخير.

وصايا الإمام

المطران جورج خضر



لعل الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين – رحمه الله – أحس بدينو الأجل، أو بإمكان دنوّه، لما وضع لنا "وصاياه". قلت "وضعها لنا"، مع أن معظمها رسالة إلى الشيعة أو رسالة فيهم – ذلك أننا معنيون جميعاً بهذا الكلام. ربما خشي الشيخ أن يختلف قومه في ما كان يقول، فأراد لهم منهجاً فكرياً واحداً إذا تعاطوا شؤونهم في بنينهم الداخلي، أو رأوا إلى مسؤوليتهم في تكوين الوطن.

أملى شيخنا إملاءً على مسجلة كل هذه الوصايا في باريس، إلا الأخيرة، ولم يتابع لأن البارئ تعالى وتبارك أتخذّه إلى رحمته في العاشر من كانون الثاني السنة 2001 – فكانت هذه المدونات التي استخرجها ابنه إبراهيم وقدم لها غسان تويني بأسلوب شاعري رقيق. أتصور أن صوت الإمام لم يأت فقط على هدوئه المعهود، ولكن بسبب من رهبة الوضع ازداد وقاراً. كل مرة كنت في حضرته كنت أحس أن هذه الرزانة الصوتية كانت شهادة على قدسية من كان هو يكلم، وهذا في شعور مني أنه لم يشأ مرة أن يخترق أحداً؛ ذلك أن الحوار عنده كان من باب إجلال المخلوق للمخلوق .

كنت دائماً مقتنعاً أنه لا هو ولا الإمام موسى الصدر فگراً يوماً في أن يقوموا بتنظير للمجتمع الشيعي يجعله ذا فرادة تاريخية أو فكرية. هذا هو عيناً تمايز المتواضعين: إنهم لا يقرأون لأنفسهم دور اصطفاء. وإذا كان الشيء بالشيء يُذكر، كنت أقارب أهل التشيع على أنهم يتصفون بالفاجعية؛ فقلت لها مرة له، فابتسم وقال: "أتظن ذلك؟" أنا، رقيقاً حراً، كان لي مع طلابي الشيعة تداخلاً ما جعلني أحس فيهم كربلائية حلوة، لا شك عندي أنها قادت بعضاً منهم إلى الشعر. تلك الحقبة كانت ترافق دخول القيادة الدينية باب السياسة من مصراعيه. كنا نعرف أن الإمام المستور هو الذي سينشر العدل عند عودته. فكان ارتضاء العلماء أن يقيم شعبيهم في البنية اللبنانية، على شقائها، شيئاً جديداً، على قدر اطلاعي، علماً بأن في العلاقة مع الزمن وشؤونه مواقف عديدة في الفكر الإيراني منذ القرن التاسع عشر.

مع صاحب الوصايا نحن مع فكر سياسي لبناني محض. الكتيّب سياسي بالمعنى الراقي، مبتدأ ومنتهى. ما يطلبه الإمام من الشيعة الإمامية، وذلك في كل أوطانهم ومجتمعاتهم، "أن يدمجوا أنفسهم في أقوامهم وفي مجتمعاتهم وفي أوطانهم، وأن لا يميّزوا أنفسهم بأي تمييز خاص، وأن لا يخترعوا لأنفسهم مشروعاً خاصاً يميّزهم عن غيرهم". ويرى ذلك مؤسساً في الإسلام لأن "وحدة الأمة تقتضي الاندماج وعدم التمايز".

هذا هو في حسابني كل أطروحة/الوصايا، والباقي تفصيل. غير أن المهم في ما أورده هنا أنه يؤسس هذا الموقف السياسي على قاعدة مصلحة الأمة التي لا بدّ من أن نفهمها مصطلحاً قرآنيّاً يدل على جماعة المسلمين. هو لم يبلغ الأمة وجوداً أو كياناً قائماً في الإسلام؛ ولكن الجديد في هذا الفكر أن الجماعة الإسلامية تندمج في الوطن بمعناه العصري اندماجاً كلياً. فهي "لا تطلب ما لنفسها"، كما يقول بولس عن المحبة، ولكنها تطلب ما للوطن جميعاً.

المؤسسة الإسلامية كانت تقول إن الوجود الزمني-التاريخي الفاعل هو للأمة الإسلامية، وأن الآخرين يتواجدون تحت جناحيها، وتكفيهم شرّ القتال معها، ذلك لأن الحرب حربها، وبدل انكفائهم عن الجهاد يؤدون الجزية. أجل، لقد ألغت السلطنة العثمانية نظام أهل الذمة، بالخط الهمايوني بخاصة، وانبرى مفكرون مسلمون وإسلاميون، ولا سيما في مصر، للقول بأن نظام أهل الذمة قد شاخ وعتق بظهور المواطنة، وذلك بعدما فتح الطريق إلى القول بنهاية الخلافة. د. علي عبد الرازق في كتابه الإسلام وأصول الحكم. عندنا إذاً فكرٌ سنيٌّ مؤمن يقول - إذا سرنا إلى آخر منطقتنا - إن المسلمين في الدول المتعددة الدين جزء من الكلية الوطنية.

غير أن اندماجية أهل التشيع في الوطن لا تعني للشيخ العلمانية. فهو، بعد وصفه التعلّم الذي دانت به شرائح كبيرة في الطائفة، دعا أهل العلمانية المتأثرة باليسار، التي كان بعض منها منخرطاً في "الأحزاب المسيحية الطائفية" - دعاهم إلى "تصحيح الانتماء إلى شيعيتهم، من جهة، وتصحيح انتماء هذه الشيعية إلى الوطن والمجتمع الوطني، من جهة أخرى"؛ وكأنه يقول لأبناء طائفته: أنتم لستم في حاجة - إذا ابتغيتم الحداثة - إلى أن تنخرطوا في صفوف اليسار، ولا أن تلتزموا الأحزاب المحسوبة على المسيحية، ولكنكم تندمجون في الشيعية وفي الوطن في حركة واحدة.

أجل لم يسعف شيخنا الوقت ولا الوضع الصحي لكي يتبسّط في المضامين الفلسفية والعملية لهذه الدعوة. هل يعني هذا أن المذهب الشيعي انتماءً روحي محض (مع أحوال شخصية) لا يتلازم وأيّ موقف سياسي؟ هذا ما يبدو لي في قراءة أولى. هذا ما قد يعنيه في الظاهر قوله: "أوصي الشيعة في كلّ قوم من أقوامهم، وفي كلّ دولة من دولهم، ألا يفكروا بالحس المذهبي أبداً."

تماشياً وهذه الدعوة أفهم أن الإمام تراجع (في الوصايا) عن إلغاء الطائفية السياسية في لبنان؛ ذلك أن هذا الإلغاء "يحمل مغامرة سياسية قد تهدد مصير لبنان". ربما غيّر بعضٌ مواقفهم السياسية؛ ولكن تغيير موقف كهذا يتجاوز السياسة البحتة إلى موقف روحي وفكري نادر جداً في العالم. وإذا كان من الثابت أن الشيعة هم الطائفة الأكثر عدداً في لبنان يكون الإمام قد تحرّر كلياً من استغلال هذا التفوق العددي، في سبيل إيجاد وطن موحد لا ذكّر فيه للأقلية والأكثرية. وبهذه المساواة المعنوية والعملية قال: "لا توجد أقليات مسلمة ولا توجد أقليات مسيحية".

هل المسيحيون مشكلة؟ من الوصايا الأساسية التي ركّز عليها، بالنسبة إلى المسلمين اللبنانيين وبالنسبة إلى العرب جميعاً، هي "الحرص الكامل التام على ضرورة وجود وفاعلية المسيحيين في لبنان". وفي موضع آخر يؤكد على أن "المسيحية في لبنان جزء مقومٌ للبنان، كالإسلامية في لبنان، وأن لبنان لا يقوم إلا بالتكامل".

لو كنتُ قد قرأتُ، في الشك اللبناني الذي يساورنا جميعاً، هذا الكلام، بصرف النظر عن قائله، لمّا كان الإمام في كامل عافيته، لقلت إن هذا الكلام إنما أُطلقَ في معرض التسويق السياسي. غير أن ورود هذا التأكيد ثلاثة عشر يوماً قبل موت الرجل لا يصدر إلا من قلب من يعرف أنه سيواجه ربّه. محبة محمد مهدي شمس الدين للمسيحيين يجب أن نقرأها في صدق من يعرف أنه سيلقى الحضرة الإلهية بعد أيام، يدل تطور المرض على أنها معدودة. هذا إعلانُ حبِّ الله وللمواطنين جميعاً.

هذه "وصايا" أحسستها، من وراء كلمات موجّهة إلى طائفة واحدة، أنها وصايا لنا جميعاً، وأنها إرثنا. ألا يسعى فريق ممّا إلى أن يتبوأ أو يتمايز هو - لعمري - برنامج حياة لبلدنا كلّه. هذا هو روح ميثاقنا.

هذه الحرب الرهيبة

بقلم المطران جورج خضر



دعوتي الى الله منذ بدء المحنة ان يأخذ لبنان بعطفه وكرمه ومن كرمه ان تقف هذه الحرب التي شنتها اسرائيل حاقدة. موت عبثي، شرير، رهيب يحل بنا مع ما يرافقه من تدمير وتمزيق وقطع اوصال البلد. استلذاذ العدو بموتنا ونحن شعب بريء بكل اطيافه مهما تعددت آراؤنا بحكمة هذه الفئة او تلك.

لا يذهلني ان تتصرف اسرائيل كما تصرفت، فهذا في آداب آباتها الذين امروا بابادة الكنعانيين اي نحن .هذا قديم وسابق للنصوص التأسيسية للصهيونية التي تقيم دولة يهودية لا تختلط اساساً بالعناصر الاخرى. هذا موقف اقصائي في تأسيس الدول المعاصرة.

لا يذهلني هذا ولكن يذهلني اصطفاف الاميركيين والاوروبيين بعامة وراء الدولة العبرية وقول الولايات المتحدة ان اسرائيل تدافع عن نفسها. من اعتدى عليها؟ اذا كان المعنى الذي اراده السيد بوش انه خطف لها جنديان فهل هذا يقابله كل هذه المجازر والدمار والهلع والتجوع للشعب اللبناني؟ هل احراق لبنان ضروري لاعادة هذين الجنديين؟

ليس بين هذا الخطف والحرب الشاملة علاقة سبب ومسبب. ثم من يصدق ان عملية حربية بهذا الحجم لم تستلزم اشهرأ من الاستعداد في اطار عملية تأديبية ضخمة جداً للبنان هي جزء من مشروع سياسي عالمي يحدث هزة كبيرة في المنطقة كلها؟ الاكذوبة الكبرى بعد اخفاق الاميركيين في العراق انهم يرون لبنان مهيناً ليصبح نموذجاً للدولة الديمقراطية الحرة بين العرب ثم يباركون او لا يمنعون الاعتداء عليه. هل من ديموقراطية ممكنة في بلد لا قوة فيه؟ بعد سياسة الارض المحروقة التي يمعن الاسرائيليون في التماسها او تطبيقها من أين لاحد ان يقيم دولة ديموقراطية، راقية، توحى الحرية لكل العالم العربي؟

الذين يظنون ان خطف الجنديين الاسرائيليين كان عمل غباوة من حزب الله (وأنا ما قلت إنى أبرره) انما هو سبب مباشر لتعطيل الحوار الوطني الجاري مع هذا الحزب والذي كان من شأنه ان يحاول صيغة تفاهم بينه وبين الفئات الأخرى. ان سجلاً مقولاً أو صمماً مع حزب الله في الوقت الحاضر من شأنه فقط ان يدعم اسرائيل والدول التي ساندتها. مهما يكن من أمر فسوف تقوي هذه الحرب لبنانية حزب الله من حيث ان حلفاءه في الخارج أو الذين يمدونه بالمعونة المالية لن يقفوا على رأيه ليصلوا الى تفاهم مع الأميركيين .ان ربح المقاومة لهذه الحرب يقوي لبنان وستخرج من المحنة أكثر توحداً مع كل اللبنانيين بلا مساءلة عن لبنانيتها.

● ● ●

كتبت هذه السطور الاثنتين الماضي وربما يكون قد تم قبل صدور هذه الأسطر قرار لوقف النار. ما ينبغي ان يفهمه اللبنانيون هو ان يفتشوا عن مصادر قوة واصلاح للدولة وتعبئة كبرى لقواهم تخرجنا من هشاشتنا. عند السلام أو الهدنة ينبغي ان نعرف ليس فقط عدونا هذا الذي يميّتنا الآن ولكن ان نعرف الفاترين تجاهنا او اللامبالين بمصيرنا وويل، اذ ذلك، لمن لم يفهم ان وحدتنا الوطنية الحقيقية تقوم على الولاء المطلق وغير المشروط للوطن وحده. ان الدول التي قالت بعد خروج الجيوش

السورية انها مع سيادتنا برهنت ان المطلق عندها اسرائيل .هل نحن قادرون على ان نثبت لها ان لبنان هو أيضاً مطلق وان أحداً لا يحق له ان يتفرج على حرائقه كما تفرج نيرون على حريق روما واتهم المسيحيين بفعلة ارتكبتها هو؟ في ظل هذا الموت الذي ندوقه يحق لنا ان نغضب وألا نتكل حصراً لوجودنا على الآخرين .نحن لسنا شعباً حاقداً لكن ألا يحق لنا ان نغضب؟

نكون قد غرقنا أنفسنا في الموت الكامل اذا استسلمنا بعد هدوء الحال الى نرفزات طائفية سخيفة . نبارك نحن لمن جاء النصر على كتفيه لان هذا هو نصرنا جميعاً. التاريخ هكذا يمضي، والويل للعرب كلهم اذا انتصرت اسرائيل علينا. ستجعلهم، اذ ذاك، كلهم عبيداً لها.لم تفهم الدول الغربية ان السلام الذي يسود المنطقة لن يكون السلم الاميركي ولكن السلم الاسرائيلي .لم تفهم أميركا ان اسرائيل هي التي تستخدمها وان اسرائيل في أعماقها السيكولوجية لا حليف لها على رغم الحلف الاستراتيجي الذي يربطها بالولايات المتحدة .هذا حلف حقوقي وليس حلفاً نفسياً. وأتمنى لو أدرك المسيحيون في العالم ان التفوق اليهودي الذي يحمله النصر الاسرائيلي خطر عليهم بالدرجة الأولى لأنالصراع الحقيقي على مستوى العقيدة الدينية هو بين الكنيسة واليهودية واسترخاء مسيحيي الغرب ازاء اليهودية واليهود الساطع في اللاهوت الغربي منذ تسعين سنة وما كنا هنا ضحاياها في اية كنيسة شرقية ارثوذكسية كانت ام غير ارثوذكسية قد يطاولنا لنقع في بدعة المسيحية المتهددة .ان ما وراء الغطرسة الاسرائيلية غطرسة يهودية واضحة تكره المسيح شخصياً وتكره بخاصة بولس الرسول الذي نقض اليهودية .هذا كله موجود في الآداب اليهودية ولكن من يقرأ؟

قد لا يكون مسيحيو لبنان على وزن كبير في سياسة بلادهم اليوم. ولكني اقول لهم بكل وضوح ان اسرائيل لا تؤثر وجودهم على الوجود الاسلامي لان المسيحيين اللبنايين ليس عندهم ما يقدمونه ليعشقهم اليهود وان المسلمين عندهم النفط. ونحن تعايشنا والمسلمين العرب في ازمنا اكثرها كانت سلامية ووجدنا هنا في لبنان صيغة عيش تمكننا من اعظم حرية ممكنة ولن نتمتع بحرية عظيمة في ظل السلم اليهودي

●●●

وبعد الالم لا بد من الابداع ولا بد من السماح تهيمن على كل النسيج اللبناني ولكن هذا يتطلب الا نحمل اية طائفة مسؤولية هذه الحرب والى هذا سنعمل معاً لنهضة لبنان ولكن بتضحيات عظيمة تجعلنا نقيم دولة عظيمة.

سنتحمل الالم ولا سيما اذا امتدت المحنة لعلنا ان تكاتفنا شرط دوامنا بلداً حراً قادراً على ان يصير نموذجاً للعرب يتعلمون منه الحرية الكاملة لبلادهم وربما غدونا نموذجاً للعالم .ولا نخاف الموت لان

الموت حرية للاحياء، هذا اذا فهموا ان الفرد هو والجماعة يقويان بالطهارة وان هذه الطهارة هي التي تنشئ دولة قوية ومستقيمة.

يبقى ان قلوبنا مع النازحين الى كل مكان وهم في حاجة اليها جميعاً والى ادعيتنا. ارجو ان يلهمنا الرب جميعاً مساعدتهم مباشرة او بواسطة الجمعيات الخيرية وهيئة الاغاثة العليا ولا سيما الاهتمام بطعام الاولاد والادوية للأمراض المزمنة. والاهم من كل ذلك ان يكون جيران المؤسسات التي لجأوا اليها في القرب منهم يحسون ان اللبنانيين في المحنة معاً.
دعأونا الى الله ان ينتهي القتال ليعود كل منا الى دياره وينعم بلدنا بالراحة والسلام .

نحن والمسلمون

بقلم المطران جورج خضر



جريدة النهار (لبنان) – 22 آذار 2003

كان ينبغي ان أكسر القلم لوقوع الحرب لأن البكاء لا يترك وقتاً للكتابة. غير ان الكارثة لا تحول دون اعترافي بفضل بعض من كبار المفكرين الروحيين في الاسلام امام الآلام الحاضرة. فمنذ سنوات عزل محمد السماك المسيحيين المتصهينين في أميركا عن غير المتصهينين كما أكد المرة تلو المرة في محافل عدة وفي آدابه استقلال المسيحية الشرقية وأصالتها في معرفة ذاتها منتمية الى هذه البلاد ومتوحدة بالمسلمين في المصير التاريخي الواحد. لم أقرأ كل شيء في الادبيات السنوية لكن المعطيات تدل على ان هذا الفكر السمح بات مرتضى.

في الإطار الشيعي يأتي فكر سماحة السيد محمد حسين فضل الله ذا دلالة كبيرة فيها جدة كثيرة. تتكشف عنده قوة النقد للعالم الاسلامي في وضعه الحاضر. يفجر موضوع المرأة بصورة غير مألوفة. وفي الخطاب السياسي يداري الحالة الاسلامية في طريقه الى رؤية لها حضارية مقيمة، فاعلة في واقع التاريخ ومحوّلة له ويوضح فصل المسيحية عن الصليبية.

غير ان هذه اللغة بلغت ذروتها في خطاب السيد حسن نصرالله يوم عاشوراء حيث يقول: "على المسلمين ان ينظروا نظرة تقدير واحترام كبير لمواقف الكنيسة المسيحية في العالم" ولفته الى أن أهم ما في المواقف انها "تنزع العنوان الديني عن حرب بوش". كذلك ينصح المسلمين ان يجتنبوا أي تعبير قد يشعر فيه كثير من المسيحيين الرافضين للحرب بالاساءة وبالاهانة. وهنا يشير بوضوح الى تعبير الحروب الصليبية ويطلب الغاءه من الاستعمال وأخيراً يدعو الى تحالف اسلامي - مسيحي نوعي وشعبي ورسمي في مواجهة المشروع الأميركي الصهيوني.

لييك يا سماحة السيد. هذه فناعة منك ودعوة تكفيان إذا يُضربَ العراق الشقيق. في هذا طمأنينة كبيرة لايماني ان أمر الشعوب بيد قادتها. وهذا ما يزيدي اقتناعاً بما قلناه غير مرة منذ سنين اننا في هذا البلد نضمن بعضنا بعضاً. وهذا ما يفك عقدة الأقلية وعقدة الاكثرية معاً. ان هذا القسم الاخير من خطاب السيد حسن نصر الله انما ينبغي اعتباره وثيقة - مرجعاً اذا برز أي توتر خارج لبنان قد يعرض المسيحيين للخوف. ويحق لي ان اعتبر ان هذا الكلام يتجاوز الظرف الى ما هو قاعدة من قواعد العيش المشترك الكريم. هذا ليس فقط سياسة. هذا فكر والفكر أبقى.

هذا يعني اننا انتقلنا من مجرد الواقع الى ما هو تنظير أي اننا لسنا فقط في العيش ولكن في دعم أسس العيش. هذا ليس غريباً عما في الاسلام من سماحة. وأفهم هذه السماحة هذه المرة على انها تدل على ان هذا الفكر الاسلامي الواضح - وقد لا يكون جديداً في أصوله - انما هو متأثر بقناعة ان المسلمين يرون أنفسهم واحداً مع المسيحيين في هذه الدنيا. وهذا لعمرى متأصل في دستور المدينة الذي وضعه الرسول. كم نحن في حاجة الى استعادة هذه الوثيقة التي هي أقدم من الأحكام الشرعية اللاحقة وأثبتت من العهود العمرية.

غير ان هذه الرؤية لا تكتمل الا اذا تأمل المسلمون في موقف الكنائس من العراق من الناحية

النظرية. كنائس العالم استكرت الموقف الاميركي لإيمانها بأن العراقيين بشر. الموقف موقف انساني أو موقف حق من العراق. الكنائس لا تشكل اذا كتلة واحدة مع الدول التي شعوبها مسيحية اذا اخطأت هذه الدول أو حتى اذا اخطأت شعوبها. كتل مسيحية سياسية وعسكرية ظالمة ليست من الكنيسة. الكنيسة ليست كتلة مرصوفة. هي حق يتجسد أحياناً في شعوب مسيحية وقد يتجسد في شعوب أخرى. الوحدة هي وحدة مع الحق وليست مع مجموعة تدين بدين.

هذا لا يمنعك من ان تتحسس آلام جماعة تؤمن بإيمانك وان تشاركها في خيرائك بتفضيل ولكنك مدعو الى ان تبكتها ان هي اخطأت وان تحاول ردها الى الصواب. وقد قدم المسلمون في العصر الحديث أمثلة عن وقوفهم في جانب الحق ولم يتماسكوا بصورة عمياء والمسلمين السالكين طرقاً معوجة وذلك بدءاً من الثورة العربية التي قادها الشريف حسين ضد دولة مسلمة وانتهاءً باصطفاف العرب مع رئيس الأساقفة مكاريوس في النزاع القبرصي. هذا يوضح ان الأمة ليست موحدة سياسياً بالضرورة ونتيجة ذلك انه لا بد من التمييز بما هو للإيمان وبما هو للكيان السياسي على هذه الأرض.

"تحالف اسلامي - مسيحي نوعي وشعبي" يفترض الا ترى الى الأمة تتحرك بحركة واحدة في شؤون هذا العالم لأن لهذه الشؤون ذاتيتها وحركيتها في كل بقعة من الارض وهذا ما يسمى الامم وفيها الدول أو قل ان الراهن السياسي راهن قومي أو وطني يستلهم ما يستلهم من الينابيع الروحية. هذه الظاهرة في العالم المسيحي ابتدأت في أوروبا منذ القرن التاسع على الأقل لما أخذت أوروبا تتمرد على السيادة البيزنطية التي كانت منبسطة على الغرب آنذاك وانهارت الامبراطورية الجرمانية المقدسة بنشوء الدول القومية. هذا التمايز بين الدولة والكنيسة يتجلى أيضاً في أوروبا الشرقية حيث لا توالي دولة "أرثوذكسية" دولة أخرى وحيث لا توجه كنيسة أرثوذكسية كنيسة أخرى لا في الدين ولا في الخيارات السياسية.

كلما سمعت مسلماً يلفظ كلمة أمة أخاف هذا الاختلاط المضمون في اللفظة بين العروبة والاسلام أولاً وبين الشعوب الاسلامية مع ان سياسات هذه الشعوب في الواقع مفارقة احداها للأخرى. اذا وعينا من سماحة السيد حسن نصرالله انه لا يسوغ منذ الآن استعمال كلمة صليبية يقابل ذلك منطقياً انه لا يسوغ استعمال كلمة جهاد. انت تجاهد من؟ فاذا زال المشركون في العالم - وقد

زالوا - وإذا زالت دار الاسلام بمعنى الوحدة السياسية أو المنظومة الكيانية فهل أنت تجاهد الديانة النسمية في أفريقيا أم الهند كلها بما فيها من براهمة وبوذيين أم تجاهد اتباع كونفوشيوس ولاوتسو أم الشنتو في اليابان؟ لاستحالة جهادك هؤلاء تختلط هذه اللفظة في الذهن بمجاهدتك دولا شعوبها مسيحية ولا قدرة لك على ذلك. لماذا تستعمل اللفظة وهي خطيرة جداً بسبب غموض انطباقها على الواقع السياسي الذي لن تغير فيه دار الاسلام شيئاً من طريق الحروب النظامية.

لعل زمان الأزمات يدفع المسلمين الى التدقيق في الكلام القرآني التالي: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر". أمامي كتب عدة من كتب التفسير. واستوقفني ما ورد في "مجمع البيان في تفسير القرآن" للطبرسي وهو من بين أكابر علماء الامامية ويأخذ "كنتم" بمعنى صرتم خير أمة خلقت لأمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر وإيمانكم بالله. بعبارة أخرى ليس الله معظماً للمسلمين كما هم ولكن لأحسنين منهم الذين يسيرون على دروب الله. وهذه لعمري دعوة إلهية وتشجيع وفي الناس رجاء وجهد فلا يبقى من مجال لمفاضلة بين الجماعات الدينية من حيث الواقع المعيشي إلا من حيث انها تتنافس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإذ تقع الواقعة فيما تذهب هذه المقالة الى الطباعة فنحن، مسلمين ومسيحيين، في أشد التعاون ولعل من شأن الوجد الكبير ان يقودنا الى التماسك الكبير والشفافية والإخلاص في سبيل انسان جديد في هذا الشرق وربما في العالم.
